ملخّص برنامج عبد الحليم الغزّي وحديثٌ عن الجندر - الحلقة(7)
رسالة نسائية ج١
الأحد : ١٠/صفر/١٤٤٥هـ - الموافق ٢٧/٨/٢٠٢٣م

هذه الرِّسالةُ إنّني لا أصفُها بأنَّها رِسالةٌ جَندَريَّة، ولا أصفُها بأنَّها رِسالةٌ نسويَّة نسبةً إلى الفكر النَّسويّ..
الرِّسَالَةُ طويلةٌ والَّذي تعرفونهُ عنّي حينما تكونُ الرِّسالةُ طويلةً فإنَّني أختصرُها، لكنَّ الرِّسَالةِ هذهِ مُهمَّةٌ لذا سأقرؤها عليكم، سأقرؤها مثلما وردتني:
بسم اللّه الرّحمـن الرحيم
أمّا بعد؛
هُناكَ الكثيرُ من التساؤلاتِ حولَ تعامُلِ الإسلامِ معَ المرأة، والكثيرِ من الأمور المبهمة الَّتي تحتاجُ إلى التوضيح، وبقاؤها بهذه الصورة أدَّى إلى نفورِ العديد من النِّساء عن منهجِ أهلِ البيتِ عليهِمُ السَّلام، ولكَي لا أُطيلَ الكلامِ سأبدأ أولاً من سنِّ البلوغ عندَ البنت، وحسبما وردَ في أحاديثِ أهلِ البيتِ إنَّ سنَّ بلوغِ البنت تسعَ سنين - المطبوعُ في الرسالة: **أبي عبدَ اللّه** - والتقدير: (عن أبي عبد اللّه)، سأقرأ مثلَما جاء مذكوراً في الرسالة - **أبي عبد اللّه عليه السلام قالَ: "حَدُّ بلوغِ المَرأة تسعُ سنين". وسائلُ الشيعة** - هذا هو المصدر.
الاستفهامُ هُنا حولَ جوازِ تزويجِ البِنت في هذا السن ... سَمعتُ أبا عبد اللّه عليه السّلام - هذه النُّقاط تُشيرُ إلى السَّند - **يقولُ لمولاً لهُ: انطلق فقُل للقاضي قالَ رَسُولُ اللّه صلَّى اللّهُ عليه وآله: حدُّ المرأة أن يُدخَلَ بِها على زوجِها ابنةُ تسعَ سنين. الخصال** - المصدر الخصال للصّدوق.
عن زُرارةَ عن أبي جعفرٍ عليه السّلام - إنَّهُ إمامُنا الباقر - **قال: لا يُدخَلُ بالجارية حتّى يأتي لَها تسعُ سنين أو عشرُ سنين. وسائلُ الشيعة.**
بل الأغربُ من ذلك استحبابُ زواجها مبكراً وحتَّى قبلَ أن تَحيض، مُحمَّد بنِ عَليٍّ بن الحُسين قَالَ، قالَ رسُولُ اللّهَ صلَّى اللّهُ عليه وآله - إنَّهُ إمامُنا الباقر يروي عن رَسول اللّه صلواتُ اللّه على رَسُول اللّه وآله الأطهار - **من سعادة الرَّجُل أنْ لا تَحيض ابنتهُ في بيته. الفقيه** - كتابُ الفقيهَ للصّدوق.
وغيرها من الأحاديث الَّتي أكَّدت استحبابَ زواج البَنتِ مُبكَّراً، أفليسَ هَذا ظُلمٌ للبنت أن تقعَ عليها مسؤوليّةُ الزّواج والحَمل والوِلادةِ والتربيةِ وطاعة الزَّوج في سنٍّ تكونُ بِه غيرِ مُدركة للأمور؟!
وجاء في الرواية النَّهيِ عن تبتُّل المَرأة أي رَفضُها للزَّواج، أبي عبد اللّه - المرادُ عن أبي عبد اللّه - **عليه السَّلام قال: نهى رَسُولُ اللّه صلَّى اللّهُ عليهِ وآله النِّساءَ أن يتبتَّلنَ ويُعطِّلنَ أنفُسَهُنَّ من الأزواج. وسائلُ الشيعة** - هذا المصدر - **وهُناكَ حَديثٌ مُشابهٌ لَهُ عن رَسولِ اللّه.**
وهُناكَ ما يُشيرُ إلى أنَّ هذه الرِّوايات جاءت لحماية النِّساء من الفساد وذلك لأنَّ هَمَّهُنَّ الرِّجال: عن رَسُولِ اللّه صلّى الله عليه وآله: إنَّ الأبْكَارَ بمنزلة الثَّمرِ على الشَّجر إذا أدركَ ثَمرهُ فلَم يُجتنى أو فلم يَجتني - المرادُ صاحبَ الثَّمر - **أفسدتهُ الشَّمس ونَثرتهُ الرِّياح، وكذلكَ الأبْكَار** - جمعٌ لباكر - **إذا أدركنَ ما تُدركُ النِّساء فليسَ لهنَّ دواء إلَّا البعولة** - الزّواج - **وإلَّا لم يُؤمَن عَليهنَّ الفساد لأنَّهُنَّ بشر. الكافي** - المصدر الكافي.
وكذلك قالَ أميرُ المؤمنين عليه السّلام: خُلقَ الرِّجالُ من الأرض وإنَّما هَمّهم في الأرض - من التراب من الطِّين - **وخُلقت المرأةُ من الرِّجال وإنَّما هَمَّها في الرِّجال، احبسوا نساءَكُم يا معاشرَ الرِّجال** - احبسوا نساءكم في البيوت.
ووردَ أيضاً، قالَ أميرُ المؤمنينَ عليه السّلام: خلقَ اللّهُ ا لشَّهوةَ عشرةَ أجزاء فجعلَ تسعة أجزاء في النِّساء وجُزءاً واحداً في الرِّجال ولولا ما جعلَ اللّهُ فيهنَّ - في النِّساء - **من الحياء على قدرِ أجزاءِ الشَّهوة لكانَ لكُلِّ رجلٍ تسعُ نُسوة مُتعلّقات به.**
قالَ أبو عبد اللّه عليه السّلام - الصّادقُ صلواتُ اللّه عليه - **إنَّ اللّهَ جعلَ للمرأةِ صَبرَ عشرةِ رِجال فإذا هاجَت كانت لَها قُوَّةُ شهوةِ عشرةِ رجال. الكافي** - المصدر الكافي.
الغريبُ في الأمر أنَّنا لو سلَّمنا لهذا القول بأنَّ المرأةَ يجبُ عليها الزَّواج وإلَّا فسدت وذلكَ لأنَّ اللّه جعلَ فيها تسعة أجزاء من الشَّهوة وللرَّجلِ واحدة، فلماذا ينقلبُ الأمرُ مئةً بالمئةِ بعدَ زواجِها فيحقُّ للرَّجُلِ أن يتزوَّجَ عليها ثلاثةً من الحرائر وما شاءَ من الإماء وما شاءَ من الزَّواج المنقطع - الزّواج المنقطع زواج المتعة.
أبي عبد اللّه عليه السّلام قال: ذُكرت لهُ المتعة أهيَ من الأربع؟ - من الزَّوجات الدَّائمة - **فقال: تزوَّج منهنَّ ألف فإنَّهُنَّ مُستأجرات.**
أوليس هذا مُناقضاً ما تقدَّم؟ فكيفَ لصاحبِ الشَّهوة الأقل أن يتزوَّجَ أكثر وصاحب الشَّهوة الأكثر - وهي المرأة - **لهُ زوجٌ واحد، ويُشاركُ به؟!**
والأغربُ من ذلكَ لا ذنبَ على الرَّجُلِ إذا هجرَ زوجتهُ أربعة أشهُر؛ عن أبي جعفرٍ وأبي عبد اللّه عليهُما السّلام أنَّهُما قالا: إذا آلَ الرّجل - أقسَمَ قسماً - **أنْ لا يَقربُ امرأتهُ فَليسَ لها قولٌ ولا حقّ في الأربعة أشهُر، ولا إثمَ عليه في كَفِّه عنها في الأربعة أشهُر، فإنْ مَضَت الأربعةُ أشهُر قبلَ أن يمسَّها فَسكتت ورَضيت فَهُو في حلٍّ وسعة، فإنْ رَفَعت أمرها قيلَ لَهُ إمَّا أن تَفيء** - تعود إلى زوجتك - **فتمسَّها وإمَّا أن تُطلِّق. وسائلُ الشيعة.**
إذاً ما الفائدةُ من التزويج إنْ لم تتحقَّقُ العلَّة؟ - الحديثُ عن العلَّة الَّتي ذُكرت في الأحاديث المتقدِّمة من أنَّ الزَّواجَ يُحصِّنُ المرأة من الفساد - **بل فضلاً عن ذلك ستتعرَّضُ المرأةُ إلى ألمٍ نفسيٍّ شديد جدّاً عندَ زواجِ زوجِها بامرأةٍ أُخرى، ومع أنَّهُ وردَ في الأحاديث إنَّ اللّهَ أكرمُ أن يبتلي المرأةَ بالغَيرة، ويُحلَّ للرِّجالِ معها ثلاثاً ولكنَّ الواقعَ يُثبتُ غيرَ ذلك لم نجد امرأةً سعيدةً بزواجِ زوجها بأُخرى، والعلم قد أثبتَ أنَّ شُعورَ الغَيرة شعورٌ فطريٌّ لدى الجنسين، وبإمكانِ أيِّ شخص تلمُّسَ ذلكَ بسهولة إذا ما جاء بأمٍّ لها طفلةٌ صغيرةٌ، عمرها سنة أو حتَّى أقلَّ من ذلك وطلبَ من الأم أنْ تُدلِّلَ طفلةً أخرى أمام ابنتها سنجدُ انزعاجَ البنت وغَيرتها على أُمِّها، وكذلكَ سيرةُ النِّساء على طول الخط.**
أمَّا عن مُعاملة الزّوجِ زوجتهُ فَهُناكَ العديدُ منَ الروايات الـمُهينة للمرأة أشدَّ الإهانة:
ففي وصيّة النَّبي لعليٍّ: يا عَلِيّ - جاء هُنا (عليهم السّلام) - **ففي وَصيّة النَّبي لعليٍّ "صلَّى اللّهُ عليهِما وآلِهما": يا عليّ ليسَ على النِّساء جُمُعة، إلى أن قالَ: ولا تُولِّ القَضاء ولا تُستشار، يا عَلِيّ سوءُ الخُلُقِ شُؤْمٌ وطاعةُ المرأة ندامَةٌ، يا عَلِيّ إن كانَ الشُّؤمُ في شيء ففي لسان المرأة. وسائلُ الشيعة.**
وفي خُطبةٍ لأميرِ المؤمنين في نهج البلاغة: "وإيَّاكَ ومُشاوَرةَ النَّساء فإنَّ رأيهُنَّ إلى أفَن وعزمَهُنَّ إلى وَهَن".
وقالَ أميرُ المؤمنينَ عليه السّلام: "اتَّقُوا شرارَ النِّساء وكُونوا من خيارهنَّ على حَذر، وإن أمرنَكُم بالمعروف فخالفوهن لكيلَا يطمعنَ منكُم في المنكر".
فليسَ هذا ظُلماً شديداً للمرأة؟! ففي كتابِ اللّه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾، لم يأمر القُرآنُ بمخالفة الفاسق وأمر بالتبيّن، فلماذا تُخالَفُ المرأةُ حتَّى وإن أمرت بمعروف؟!

والعجبُ كُلُّ العجبِ هُنا؛ قالَ رَسُولُ اللّه صلّى اللّهُ عليه وآله: النّساءُ عَورَة احبسوهنَّ في البيوت واستعينوا عليهنَّ بالعُري. المصدرُ بحارُ الأنوار - "واستعينوا عليهنَّ بالعُري" لا تُوفِّروا لَهُنَّ الملابس، هذا هو المراد.

-وعن رَسُولِ اللّه صلّى اللّهُ عليه وآله: لا تضربوا نساءكم بالخَشَب، فإنَّ فيه القصاص، ولَكن اضرِبوهُنَّ بالجُوعِ والعُري حتّى تَربَحوا في الدُّنيا والآخِرَة - أي جوِّعُوا النِّساء ولا تُقدِّموا لَهُنَّ الثياب والملابس، المصدر: مستدركُ سفينة البحار.

- أليسَ هذا جريمةً بحقِّ الإنسانيّة كُلِّها أن يكونَ التعامُلُ مع المرأة بتجويعها وتعريتها؟ أليست هذه ثقافة عُمر؟ قال عُمر - عُمرَ بنُ الخطَّاب -: **استعينوا على النِّساء بالعُري إنَّ إحداهُنَّ إذا كَثُرت ثيابُها وحَسُنت زينَتُها أعجبَها الخُروج.**

وفوقَ ذلك؛ فإنَّ المرأة ليسَ لها حقٌّ في التعلُّم، عن أبي عبد اللّه عليه السّلام - الصَّادقُ صلواتُ اللّه عليه - **قالَ، قالَ رَسُولُ اللّه صلّى اللّهُ عليه وآله: لا تُنزِلوا النِّساءَ بالغُرَف** - المرادُ من الغُرَف الأمكنةُ العالية - **ولا تُعلِّموهنَّ الكتابة، وعلِّموهنَّ المَغزِلَ وسورةَ النّور. الكافي** - المصدر.

- وهُناكَ ما وردَ في استحبابِ حبسها في المنزل؛ محمّد بنُ عليِّ بن الحُسين - إمامُنا الباقرُ صلواتُ اللّه عليه - **إنَّما النِّساءُ عَيٌ وعَورة، فاستروا العورةَ بالبُيُوت واستروا العَيَ بالسكوت** - أي امنَعُوهُنَّ من الكلام - **وسائلُ الشيعة.**

وقالَ أميرُ المؤمنينَ عليه السّلام: خُلِقَ الرِّجالُ من الأرض وإنَّما هَمَّهُم في الأرض، وخُلقت المرأةُ من الرِّجال وإنَّما هَمَّها في الرِّجال فاحبِسوا نساءَكُم يا معاشِرَ الرِّجال.

أليسَ هذا مُناقضاً لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ - فإنَّ الآيةَ تُخاطِبُ الجميع، هذا هو مُرادُ الرسالة، فإنَّ الآيةَ تُخاطِبُ الرجالَ والنساء..

-وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ - الخطابُ للرِّجال والنِّساء على حدٍّ سواء..

-وقوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۞ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ۞ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾.

أفيقولُ قائلٌ إنَّ هذه الآيات خاصَّةٌ بالرِّجال فقط؟!

بل الأكثرُ من ذلك هُناكَ ما يُوحي لجوازِ قتلِ الأنثى أو على الأقلِّ هو تلميحٌ لذلك؛ صحيفةُ الرِّضا عن آبائه - إنَّهُ إمامُنا الثَّامنُ في سلسلة الأئمَّة الاثني عشر - **عن عليِّ بن أبي طالبٍ عليهُم السّلام، قالَ: للمرأة عشرُ عورات، إذا تزوَّجت سُترت عَورةٌ واحدة، وإذا ماتتَ سُترت عوراتُها كُلُّها.**

بعدَ تلك الروايات والعشرات من أمثالها لا نَستغرِبُ إذا وُصفت المرأة بالنَّعل، فهي لا رأي ولا قرارَ ولا علم، كما جاء في نهج البلاغة - هذه الروايةُ لم تَرِد في نهج البلاغة وإنَّما وردت في شرح نهج البلاغة لابنِ أبي الحديد المعتزلي، أمَّا في نفس نهج البلاغة فليستَ موجودةً - **المرأةُ كالنَّعل** - رواها ابنُ أبي الحديد عن أمير المؤمنين - **يلبسها الرجل إذا شاء لا إذا شاءت، فما رأيكمُ بذلك؟!** - وبهذا تنتهي الرسالة.

الرِّسالةُ مُهمَّةٌ جِدَّاً، هذه الأحاديثُ مثلما جاءَ في الرِّسالة موجودةٌ في المصادر الَّتي أشيرَ إليها، وهُناكَ رواياتٌ لا أدري هل أنَّ الأختَ العزيزةَ الفاضلة مُطَّلعةٌ عليها أمْ ليستْ مُطَّلعةً عليها هُناكَ رواياتٌ مضامينها ومعانيها أشدُّ بكثيرٍ من هذه الروايات وفي كتُبنا، إنَّها مرويَّةٌ عن أئمَّتنا صلواتُ اللّه عليهم في كُتُبِنا الحديثيّة الأصليّة القديمة المعروفة، وأنا لا أُريدُ أن أتحدَّثَ بلسان الَّذي يُريدُ أن يُضعِّفَ أسانيدَ الأحاديث كي يتخلَّصَ من هذه الأسئلة الحقيقيَّة، هذه أسئلةٌ تفرِضُ نفسها، وهذا الكلامُ كلامٌ موجودٌ على أرض الواقع..

هذا لا يعني أنَّ كُتُبَ الحديث عندَ أتباعِ سقيفة بني ساعدة تخلو من هذه المضامين، المضامينُ موجودةٌ هُناكَ أيضاً لكنَّني لا أُريدُ الحديثَ عن كُتُبِهم، لأنَّ الرِّسالةَ الَّتي بينَ يدي لم تُشر إليهم، وإنَّما نقلت الروايات والأحاديثَ من كُتُبِنا من المكتبة الشيعيّة، والأحاديثُ مرويّةٌ في كُتُبِنا الشيعيّة عن المعصومين صلواتُ اللّه وسلامهُ عليهِم أجمعين، فهذه الأحاديثُ موجودةٌ، وهُناكَ ما هو أشدُّ منها وأشدُّ منها بكثير، وفي كُتُبِنا الحديثيّة القَديمة الأصليّة.

أقولُ: إذا كانت هذه الأحاديثُ والأحاديثُ الأخرى الَّتي لم تذكُرها الرسالة، إذا كانت هذه الأحاديثُ تُفهمُ وفقاً لقاعدة؛ "الظهور العُرفي"، ووفقاً لقاعدة "أنَّ مرحلةَ التَّنزيل لا زالتْ مُستمرَّةً"، فليسَ هُناكَ من مرحلة تأويل وإنَّما هو التَّنزيل، ووفقاً لقاعدة ثالثة؛ "تماميّةُ البيانِ وانتهاؤه"، من أنَّ النَّبي قد أتمَّ بيانَ الدِّين وكُلُّ شيء قد انتهى وفُصِّل، وهذا الكلامُ تقولُ به سَقيفةُ بني ساعدة، وكذلك تقولُ به سقيفةُ بني طوسي..

بالنِّسبة لسقيفة بني ساعة فليس هُناكَ من بيانٍ بعدَ رحيلِ رَسُولِ اللّه صلّى اللّهُ عليه وآله عن الدُّنيا، وبالنِّسبة لسقيفة بني طوسي فإنَّ مراجعَ الحوزة الطوسيَة يعدُّونَ الأئمَّةَ رُواة حديث ينقلونَ حديثَ رسولِ اللّه، هذا هو الَّذي يعملونَ به ويَعتقدونَ به من الآخر، يضحكونَ عليكم إذا ما قالوا لكم شيئاً غير هذا..

فإذا كانت هذه الرواياتُ وهذه الأحاديثُ تُفهَمُ في هذا السياق وهو الفهمُ الَّذي تتحدَّثُ عنه كاتبةُ الرِّسالة، إذا كانَ الأمرُ هكذا فإنَّني أتَّفقُ اتِّفاقاً قطعياً وكاملاً مع النِّسوة اللاتي نفرنَ من منهج أهل البيت فإنَّني سأرفضُ هذا المنهج، هذه الأحاديثُ واضحةٌ جدَّاً في ظُلم المرأة وفي التنقيص من شأنها وفي الإساءة إليها، بل في تعذيبها بالعُري والجوع، إلى بقيّة ما جاء في هذه الروايات والأحاديث.

لكنَّنا إذا تعاملنا مع هذه الأحاديث وغيرها بمنطقٍ آخر:

- بدلاً من الظهور العُرفي؛ هُناكَ قاعدةُ "**المعاريض**".

- وبدلاً من استمرارِ مرحلة التَّنزيل؛ هُناكَ "**مرحلةُ التَّأويل**"، ومرحلةُ التأويل مرحلةٌ تدريجيّةٌ.

- وبدلاً من قاعدة تماميّة البيان وانتهاء البيان؛ هُناكَ "**البيانُ التدريجي**"، هُناكَ "**البيانُ المتحرك**"، ففي منهج السقيفتين البيانُ جامدٌ ثابتٌ، وفي منهج دين العترة فإنَّ البيانَ مُتحرِّكٌ، هُناكَ فارقٌ بينَ المنطقين.

ماذا يَعني ذلك؟ أنَّ هذه الأحاديث انطلقت من ثقافة تناسبُ عصرَ انطلاقها وهي تُمثِّلُ مرحلةً من مراحلِ التَّنزيل وكذلك من مراحل التأويل، في دين العترة هُناكَ تغييرٌ كبيرٌ سيتحقَّقُ عندَ ظُهورِ إمامِ زماننا صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه، نحنُ في مرحلة استثنائيّة، في المرحلة الاستثنائيّة فإنَّ الأحكامَ وإنَّ الفتاوى وإنَّ القوانينَ والتفاصيلَ ستكونُ متأثِّرةً بمجريات المرحلة الاستثنائيّة، قطعاً هذا إذا سلَّمنا بأنَّ الرواة الَّذينَ نقلوا هذه الأحاديث نقلوها بنفس ألفاظها من المعصوم..

(غَيبَة النُّعمانيّ)، طبعةُ أنوارِ الهدى/ الطبعةُ الأولى/ قُم المقدَّسة/ في الباب ٢١/ صفحة (٣٣٣)، الحديثُ الرابع: **بسنده** - بسند النُّعماني - **عن إمامنا الصَّادقِ صلواتُ اللّهِ عليه: كَأنِّي بِشِيعَةِ عَلِيٍّ في أيديهُم المَثَاني** - "المَثاني"؛ عنوانٌ للدستور الكبير وللكتاب الكبير الَّذي سيَشتملُ على المستأنف، إنَّهُ شيء جديد،

دينٌ يُؤسّسَ تأسيساً جديداً - **يُعلّمونَ النَّاسَ الـمُسْتأنَف** - "الـمُسْتأنَف" ما هُوَ بأمرٍ كانَ موجوداً وجُدِّدَ الآن، وإنَّما هو أمرٌ جديدٌ في هذهِ اللحظة، لم يَكُن موجوداً..

صفحة (٣٣٤)، الحديثُ السادس: **بسنده** - بسند النّعماني - **عن إمامنا الصّادقِ صلواتُ اللّه عليه: كَيفَ أنتُم** - يُخاطبُ الشيعة - **لو ضَرَبَ أصْحَابُ القَائمِ الفَسَاطيطَ فِي مَسجد كُوفَان، ثُمَّ يُخرِجُ إلَيهم** - الإمام - **الـمثَالَ الـمُسْتَأنَف** - هذا هو الدُّستورُ الجديد، هذه مجموعةُ القوانين، مجموعةُ الأحكام الجديدة الَّتي لا تُشابِهُ على الإطلاقِ الأحكامَ السّابقة، هذه الفساطيطُ صُفوفٌ للتدريب - **أمْرٌ جَديد عَلَى العَرَبِ شَديد** - هذا المثالُ المستأنف على العربِ شديد، لأنَّ الـمثالَ الـمُستأنفَ سيكشفُ الحقيقة، وسيتَّضحُ الأمر من أنَّ الحقَّ مع عليٍ وما كانَ معَ الصحابةِ شيءٌ منَ الحقّ..

مثالٌ ممَّا سيكونُ في هذا المستأنف:

يُحدِّثُنا إمامُنا الصّادقُ صلواتُ اللّه عليه في كتاب (الاعتقادات)، للصدّوق المتوفّى سنة (٣٨١) للهجرة، طبعةُ مؤسّسة الإمام الهادي صلواتُ اللّه عليه، صفحة (١١٣): **وقالَ الصَّادقُ صلواتُ اللّه عليه: إنَّ اللّهَ تَعَالَى آخَى بَينَ الأرْوَاحِ فِي الأظلَّة قَبلَ أن يَخْلُقَ الأجْسَادَ بِألْفَي عَام، فَلَو قَد قَامَ قَائِمُنَا أهْلَ البَيت وَرَّثَ الأخَ الَّذي آخَى بَينَهُما فِي الأظلَّة ولَم يُوَرِّث الأخَ من الوِلَادَة** - تغييرٌ كاملٌ في هذا الحكم، وهكذا في سائرِ الأحكام الأخرى..

الصّدوقُ يُحدِّثُنا في كتابِ (فضَائلُ الشيعة)، الحديثُ ٢١: **بِسنده** - بِسند الصّدوق - **عن مُعاوية الدُّهني، قَالَ: قُلتُ لأبي عَبد اللّه** - الصّادق صلواتُ اللّه عليه - **جُعلتُ فداك، هَذا الحَديثُ الَّذي سَمعتُهُ منكَ مَا تَفسيرهُ؟ قَالَ: ومَا هُو؟ قُلتُ: إنَّ الْمُؤْمنَ يَنْظُرُ بِنُورِ اللّه، فَقَالَ: يا مُعاوية، إنَّ اللّهَ خَلَقَ الْمُؤْمنينَ من نُورِه وَصَبغَهُم فِي رَحْمَته وَاتَّخَذَ مِيثَاقَهُم لَنَا فِي الوَلايَة علَى مَعرفَته يَومَ عرَّفَهُم نَفْسَه، فَالْمُؤْمنُ أخُو الـمُؤْمن لأبيه وأمِّه، أبُوهُ النُّورُ وأُمُّهُ الرَّحْمَة** - هذا هو الـملاكُ الأصيلُ لهذا الحُكم الَّذي قرأتهُ عليكم قبلَ قليل فيما يرتبطُ بالميراث - **إنَّمَا يَنْظُرُ بِذَلكَ النُّور الَّذي خُلقَ منه** - هذا مثالٌ من الأمثلة.

إذاً نحنُ نتعاملُ مع هذه الأحاديث بحسبِ دين العترة الطاهرة، لا شأنَ لي لا بِدينِ سَقيفة بنِي ساعدة ولا بِدينِ سَقيفة بنِي طوسي، السّقيفتان تَفهمان الأحاديث وفقاً للظُّهور العُرفي، في منهج العترة الطاهرة الظهور العُرفي يمكننا أن نستعملهُ وأن ننتفعَ منه إلَّا أنَّ الظهورَ العُرفي قاعدةٌ فرعيّة، القاعدةُ الأصل هي قاعدةُ المعاريض.

قاعدةُ المعاريض:

في (معاني الأخبار) للصّدوق المتوفّى سنة (٣٨١) للهجرة، طبعةُ مؤسّسة النَّشر الإسلامي، قُم المقدّسة، الصفحة الثالثة والتسعين، الحديثُ الثالث: **بسند الصَّدوق، عن إمامنا الصَّادقِ صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه: حَديثٌ تَدْريه خَيرٌ من ألفِ حَديثٍ تَرويه، ولا يَكونَ الرَّجُلُ مِنْكُم فَقيهاً حَتَّى يَعرِفَ مَعَارِيضَ كَلامنا، وإنَّ الكَلمَةَ من كَلَامنَا لَتَنْصَرِفُ عَلَى سَبْعِينَ وَجهاً لَنَا مِن جَميعِهَا الـمَخرَج.**

هذا هو الَّذي أشرتُ إليه إنَّهُ البيانُ المتحرك..

فنحنُ نعتمدُ المعاريض ولا نعتمدُ الظهورَ العرفي إلَّا بحدود مُعيّنة.

ونحنُ نعتقدُ بأنَّ مرحلة التَّأويل بدأت منذُ بيعة الغدير، ومرحلةُ التَّأويل نَسخت مرحلة التَّنزيل، وهذا الموضوعُ موضوعٌ أساسيّ في فهمِ ديننا..

بحسب هذه القواعد فإنَّ الأحاديثَ هذه ترتبطُ بظروف مُعيّنة ترتبطُ بحالات مُعيّنة، على سبيل المثال: وردت الأحاديثُ الكثيرةُ عن أمير المؤمنين صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه بخصوص النِّساء؛ "إنَّهُ يُشيرُ إلى عائشة"، مثلما تولَّدت حركةٌ نَسويَّة في القرن العشرين، عائشةُ أيضاً قادت حركةً نسويَّة بحسبِ زمانها، ولو بإيجازٍ بحسبِ ما يسنحُ به المقام، فأكثرُ المضامين الَّتي وردت عن أمير المؤمنين إنَّهُ يُشيرُ إلى الحركة النَّسويَّة العائشيَّة، فتنةٌ كبيرةٌ أحدَثتها عائشة، أنا لا أتحدَّثُ عن واقعة الجمل فقط، واقعةُ الجمل جزءٌ من برنامجٍ طويلٍ عريض، هذا مثالٌ أنا لا أُريدُ أن أتناولَ كُلَّ التفاصيلِ في هذهِ العُجالة..

• فإذا كُنَّا نتعاملُ معَ هذهِ الأحاديث وِفقاً للظهور العُرفي.

ما المرادُ من الظهور العُرفي؟!

أن نفهمَ النصوص وِفقاً للقواميس اللُّغويّة، بشرطِ أن يكونَ المعنى مقبولاً في العرف المجتمعيّ العام حينَ استعمالِ تِلكَ الكلمات، ونجعلُ المعنى معنىً حقيقياً ثابتاً لن يتحرك، هذا هو الظهور العرفي.

مع الاعتقاد بأنَّ الدِّينَ تحقَّقَ في مرحلة واحدة هي مرحلةُ التَّنزيل، إنَّها المرحلةُ الَّتي عاشها رَسُولُ اللّه صلَّى اللَّهُ عليه وآله بينَ المسلمين..

الَّذي يعتقدُ بقاعدة الظهور العُرفي وبقاعدة استمرارِ مرحلة التَّنزيل وبقاعدة جمود البيان تماميّة البيان انتهاء البيان فهذا يعني أنَّ المضامينَ ستبقى مُستمرّةً إلى يوم القيامة، وسيبقى هذا الانتقاصُ وهذا الظُّلمُ للمرأة إلى يوم القيامة، فالنِّساء اللاتي ينفرنَ من هذا الدِّينِ ومن هذه العقيدة بحسبِ هذه المشكلة عندهُنَّ العُذر وما هو أكثرُ من العُذر، فإمّا أنَّ الدِّينَ مكذوبٌ من أساسه، وإمَّا أنَّ اللّه ظالماً وليسَ رحيماً وليس رؤوفاً، لا نَستطيعُ أن نجدَ منفذاً كي نُبرِّرَ ما جاء في هذه الروايات وِفقاً لتمسّكنا للظهور العرفي واستمرارِ مرحلة التَّنزيل وتماميّة البيان وانتهاء البيان، وهذا هو منهجُ السقيفتين؛ "منهجُ سقيفة بنِي ساعدة ومنهجُ سقيفة بنِي طوسي"، ولا شأنَ لنا بهما، منهجُ العترة صلواتُ اللّه عليها فإنَّ الأحاديثَ هذه حالةٌ استثنائيّةٌ، هذه الأحاديثُ البعضُ منها صدرَ لظرفٍ سياسيٍ واجتماعي، البعضُ منها صدرَ وفقاً للثَّقافة الأعرابيّة الحاكمة، لا يستطيعُ النَّبيّ ولا يستطيعُ الإمامُ أن يُغيّرَ الواقعَ مرّةً واحدة، نظامُ العبوديَّة نظامٌ مرفوضٌ في أصل الدِّين، النَّاسُ أحرارٌ لا يملكُ إنسانٌ إنساناً، لو أنَّ النَّبيّ صلَّى اللَّهُ عليه وآله، لو أنَّ الأئمَّة صلواتُ اللّه عليهِم ألغوا دينياً نظام العبوديَّةَ لاختلَّ نظامُ الحياة، فماذا فعلَ الإسلامُ لنظام العبوديَّة؟ لم يُلغِه بالكامل ولكنَّهُ شرّعَ الكثيرَ من التشريعاتِ لإلغائه، الموضوعُ ليسَ مُنعقداً لتفصيل القولِ في هذا الأمر.

في زماننا الآن لو أنَّ نبياً يُبعَث في زماننا، لو أنَّ ديناً يُبعثُ في زماننا فإنَّهُ لن يصطدم بالنِّظام المصرفيّ العالمي، إذا أرادَ أن يُلغي النِّظامَ المصرفيّ العالَمي فإنَّ الحياةَ ستنقَلبُ انقلاباً ستتحوَّلُ الحياةُ إلى دمارٍ، حتَّى إذا كانَ النِّظامُ المصرفيّ نِظاماً فاسداً نظاماً جائراً، هُناكَ قواعدُ واضحةٌ في الدِّين؛

- قاعدةٌ؛ "أهوَن الضررين".
- قاعدةٌ؛ "أهون الشرين".
- قاعدةٌ؛ "التدريج في بيان الأحكام"، حكمُ الصّومِ في القُرآن بُيّن بنحوٍ تدريجي، حُكمُ الخمرِ في القُرآن بُيّن بنحوٍ تدريجي، وهكذا.
- هُناكَ قاعدةٌ؛ "إصلاح الأفسد بالفاسد"، هذا موضوعٌ مُفصّلٌ، هذهِ قاعدةٌ حكيمةٌ، الظروفُ الموضوعيّةُ هي الَّتي تدفعُ إليها..

فحينما نعملُ بقاعدة المعاريض، ما المرادُ من المعاريض؟!

المرادُ من المعاريض: أن يُوجِدَ المتكلِّمُ أيَّ مُتكلِّمٍ كان، ولكنَّنا نتحدَّثُ هُنا عن المعاريضِ الخاصَّةِ بالعترةِ الطاهرة، وإلَّا فبإمكانِ أيِّ مُتكلِّمٍ حتَّى على المستوى الشَّخصي أن يُوجِدَ نِظامَ معاريضٍ في كلامه..

الأئمَّةُ صلواتُ اللّه عليهم نسجوا أحاديثهم وِفقاً لنظامِ مَعاريض، على الفقيه أن يتعلَّمهُ، لا أن يتعلَّمَ منهاجَ الظهور العرفي..
من هُنا فإنَّ إمامَ زماننا في توقيع إسحاق بن يعقوب ما قالَ للشيعة: (وأمَّا في الحَوادث الواقعة فَارجِعوا إلى رواياتنا، قالَ: فارْجِعوا إلى رِواة حَديثنَا)، لماذا؟ لأنَّ الروايات قد نُسجت ضمنَ نظام المعاريض، وعامَّةُ الشيعة لا يعرفونَ هذا النِّظام، المُفترَضُ في رواة الأحاديث أن يعرفوا هذا النِّظام، ولذا جعلهم الإمامُ حُجَّةً من قِبَله، إنَّما جعلهم حُجَّةً من قبله لأنَّهُم يعرفونَ نظامَ المعاريض، وهذا النِّظامُ لا وجودَ لهُ في الدراسة الحوزويَّة الطوسيّة لا من قريبٍ ولا من بعيد، ولذا فإنَّ القومَ هُناك في سقيفة بني طوسي لا هُم بفقهاء ولا هُم بعُلماء ولا هُم برِواة حديث..
ولابُدَّ أن تعرفوا؛ من أنَّ نظامَ المعاريض هذا كانَ يتغيَّرُ من إمامٍ إلى إمام، لأنَّ دينَ العترة الطاهرة ما هو بدينٍ مكتوبٍ على الورق، الأئمَّةُ صلواتُ اللّه عليهم كانوا يتحدَّثون وما كانوا يكتبون، لماذا؟ كانوا يأمرونَ أصحابَهم بالكتابة لأجلِ أن يستعينوا بالكتابة على حفظ الحديث، وكانوا يأمرونَ شيعتهم بأن يأخذوا بالقول المُتأخِّر، بالقول المُتأخِّر من نفس الإمام أو بالقول المُتأخِّر من الأئمَّة الآخرين، لماذا؟ هُناك المُحْكَمُ والمتشابهُ من الحديث، وهُناكَ الناسخُ والمنسوخُ من الحديث، وهُناكَ، وهُناكَ، وهُناك..
في (علل الشرائع)، للصَّدوق، الجزء الأوَّل، البابُ التاسعُ هذا عنوانهُ: "عِلَّةُ خَلق الخَلْق واختلاف أحوالهم"، الحديثُ الأوّل: **بِسند الصَّدوق، عَن إمَامنا الصَّادق صَلواتُ اللّه وسَلامُهُ عَليه: خَرَجَ الحُسَينُ بنُ عَليٍّ عَلَى أصْحَابِه فَقَال: أيُّها النَّاس، إنَّ اللّه جَلَّ ذكرهُ مَا خَلَقَ العِبادَ إلَّا ليَعْرِفوه** - قاعدةٌ واضحةٌ - **فَإذَا عَرَفُوهُ عَبَدُوه، فَإذَا عَبَدُوهُ اسْتَغنوا بِعبادَته عَن عِبادَة مَنْ سِوَاه** - كَلِماتٌ قصيرةٌ لخَّصت الحقيقةَ كُلَّها - **فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا ابْنَ رَسُول اللّه بِأبِي أنْتَ وَأُمِّي فَمَا مَعْرِفَةُ اللّه؟** - هذه المعرفةُ الَّتي حدَّثتنا عنها، فأجابهُ الحُسينُ صلواتُ اللّه عليه: **مَعْرِفَةُ أهْلِ كُلِّ زَمَانٍ إمَامَهُم الَّذي يَجِبُ عَلَيهِم طَاعَتُه** - معرفةٌ خاصَّةٌ بِكُلِّ زمان، طاعةٌ خاصَّةٌ بإمامِ زمانهم، هذه الطاعةُ الخاصَّةُ بإمامِ زمانهم تتفرَّعُ على معرفة بإمامِ زمانهم، وهذه المعرفةُ تعتمدُ في جانبٍ منها على نظام المعاريض الَّذي يكونُ جزءٌ منه مع كُلِّ الأئمَّة، ويكونُ جزءٌ منه مُختصَّاً بكُلِّ إمامٍ في زمانه، لماذا؟ لأنَّ الظروفَ الزَّمانيّةَ والمكانيّة ولأنَّ الأحوالَ السياسيّةَ والاجتماعيّة، ولأنَّ شؤونَ الحياة في أبعادها التجاريَّة وفي التغيُّر العُمراني وفي سائرِ تفاصيلِ شؤون الحياة كُلُّ هذا يتغيَّر، وكُلَّما تعقَّدت الحياة كُلَّما تعقَّدت طريقةُ التفكيرِ عندَ النَّاس وكُلَّما كَثُرت حاجاتُ النَّاس وتعقَّدت أسئلتُهم وحينئذٍ لابُدَّ من منظُومة تُناسبُ هذا الأمر، فَهُناكَ جُزءٌ من نظام المعاريض يبقى صالحاً على طول الخَط وحتَّى بعدَ ظُهورِ إمامِ زماننا، وهُناكَ جُزءٌ من نظام المعاريض يكونُ مُختصَّاً بزمانِ كُلِّ إمامٍ من الأئمَّة، وهذه الروايةُ واضحةٌ تُحدِّثنا عن هذه الحقيقة..
ما قالَ سيد الشُّهداء: (معرفةُ الشيعة لأئمَّتهم)، هُناكَ دقَّةٌ في العبارات..
في (مفاتيح الجنان)، الزِّيارة المطلقة الأولى من زيارات سيد الشُّهداء وقد نقلَها عن الكافي، وهيَ من أهمِّ نصوص الزيارات الحُسينيّة، نُخاطبُ الحُسينَ صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه: **إرَادَةُ الرَّبِّ في مَقَاديرِ أُمُوره تَهْبِطُ إلَيكُم وَتَصْدُرُ من بُيُوتكُم وَالصَّادرُ عَمَّا فُصِّلَ من أحْكَام العِبَاد** - الزِّيارةُ واضحةٌ تتحدَّثُ عن أنَّ البيان يكونُ بياناً متحركاً، ومن أنَّ الأحكامَ تكونُ أحكاماً متحركةً، لأنَّ البيانَ إذا كانَ جامداً فهذا الكلامُ سيَصدُقُ على رَسُول اللّه ولا يَصدُقُ عليهم جميعاً، "والصَّادرُ عَمَّا فُصِّلَ"؛ هذا هو البيانُ التدريجي، هذا هو البيانُ المتحرك، حينما نَفهمُ الدِّينَ بهذا المنطق فليسَ هُناكَ من إشكالٍ في كُلِّ تلكَ الأحاديث، ولا في الأحاديث الَّتي جاءت مضامينها بنحوٍ أشد وبنحوٍ أقسى.
في دعاء النُّدبة نُخاطبُ إمامَ زماننا صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه، وهذا الخطابُ ينطبقُ على كُلِّ إمامٍ في زمانه بالنِّسبة لشيعته: **أيْنَ بَابُ اللّه الَّذي منْهُ يُؤْتَى** - عمليَّةُ الإتيانِ هذه عمليَّةٌ متجدِّدة، لو لم تَكُن متجدِّدةً لَمَا صارَ الخطابُ مع كُلِّ إمامٍ، لكانَ الخطابُ مع رَسُول اللّه فقط، فمثلما يصحُّ هذا الخطاب مع آخر الأئمَّة مع الحُجَّة بن الحسن يصحُّ مع كُلِّ الأئمَّة من أوَّلهم إلى آخرهم - **أيْنَ وَجْهُ اللّه الَّذي إلَيه يَتَوَجَّهُ الأوْلِيَاء** - عمليَّةُ التَّوجُّه مستمرَّةٌ متجدِّدةٌ - **أيْنَ السَّببُ المُتَّصلُ بَيْنَ الأرْض وَالسَّمَاء** - هذه المضامينُ تَصدُقُ مع إمامِ زماننا وتَصدُقُ مع سائرِ أئمَّتنا من رسول اللّه وأمير المؤمنين وفَاطمَة إلى الحسن المُجتبى وهكذا إلى سائرِ أئمَّتنا حتَّى نَصلَ إلى الحُجَّة بن الحسن، وهُنا في دُعاء النُّدبة إنَّنا نُخاطبُ الحُجَّة بنَ الحسن على وجه التعيين..
يأتي التفصيلُ في الزِّيارة الجامعة الكبيرة: **وَإيَابُ الخَلْقِ إلَيْكُم** - الحديثُ مع مُحَمَّد وآل مُحَمَّد بأجمعهم - **وحِسَابُهُم عَلَيْكُم، وَفَصْلُ الخطَابِ عِنْدَكُم، وَآيَاتُ اللّه لَدَيْكُم، وَعَزائِمُهُ فِيكُم، وَنُوْرُهُ وَبُرْهَانُهُ عِنْدَكُم، وَأمْرُهُ إلَيْكُم، مَن وَالاكُم فَقَدْ وَالَى اللّه، وَمَن عَادَاكُم فَقَدْ عَادَى اللّه، وَمَن أحبَّكُم فَقَد أحَبَّ اللّه، وَمَن أبْغَضَكُم فَقَد أبْغَضَ اللّه، وَمَن اعْتَصَم بِكُم فَقَد اعْتَصَم بِاللّه، أنْتُم الصِّراطُ الأقْوَم وَشُهَدَاءُ دَار الفَنَاء وَشُفَعَاءُ دَار البَقَاء وَالرَّحْمَةُ المَوصُولَة وَالآيَةُ المَخْزُونَة والأمَانَةُ المَحْفُوظَة والبَابُ المُبْتَلَى بِه النَّاس، مَن أتَاكُم نَجَا وَمَن لَم يَأتكُم هَلَك، إلَى اللّه تَدْعُون وعَلَيه تَدلُّون وَبِه تُؤْمنُون ولَهُ تُسلِّمون وبأمره تَعْمَلُون وإلَى سَبيله تُرشدُون وبِقَوله تَحْكُمُون، سَعَدَ مَن وَالاكُم، وهَلَكَ مَن عَادَكُم، وخَابَ مَن جَحَدَكُم، وضَلَّ مَن فَارَقَكُم، وفَازَ مَن تَمَسَّكَ بِكُم، وأمِنَ مَن لَجأ إلَيكُم، وسَلِمَ مَن صَدَّقَكُم، وهُدِيَ مَن اعْتَصَمَ بِكُم، مَن اتَّبَعُكُم فَالجَنَّةُ مأوَاه، ومَن خَالَفَكُم فالنَّارُ مَثْوَاه، ومَن جَحَدَكُم كَافر، ومَن حَارَبَكُم مُشرِك، ومَن رَدَّ عَلَيكُم في أسْفَل دَرَك مِنَ الجَحِيم، أشْهَدُ أنَّ هَذا سَابِقٌ لَكُم فِيما مَضَى وَجَارٍ لَكُم فَيما بَقِي** - هذه العبارةُ تشرحُ الحقيقةَ كاملةً، كلُّ هذه المقامات، كُلُّ هذه الأوصاف، كُلُّ هذه الحقائق الَّتي تحدَّثت عنها هذه العبائر من الزيارة الجامعة الكبيرة كُلُّها تدورُ تحتَ هذه القاعدة: **"أشْهَدُ أنَّ هَذا سَابِقٌ لَكُم فيما مَضَى"**، مُنذُ زمان رَسُول اللّه، قطعاً هذا في أفقٍ من أفاق المعاني الَّذي يُناسبُ حديثي في هذه الحلقة، **(أشْهَدُ أنَّ هَذا سَابِقٌ لَكُم فيما مَضَى** - مُنذُ رَسُول اللّه **- وَجَارٍ لَكُم فَيما بَقِي)**، وهوَ يجري في كُلِّ إمامٍ منكُم، فهذه المضامينُ لا يُمكنُ أن تنفعَ النَّاسَ من دُونِ أن يتواصلوا في كُلِّ مقطعٍ زمانيٍ مع إمامِهم، وجزءٌ من هذا التواصل أن يكونوا على علمٍ، على معرفةٍ بدينهم، بعقيدتهم، ومن أسباب الوصول إلى هذه المعرفة أن يُحصِّلَ الفقيهُ على الأقلِّ الفقيهُ الشيعي أن يُحصِّلَ المعرفةَ بنظام المعاريض..
فحينما نقرأ: **(ومَن اعْتَصَم بِكُم فَقَد اعْتَصَم بِاللّه)**، نحنُ نعتصمُ بهم جميعاً، لكنَّ هذا لا يكفي، لن نكونَ شيعةً إذا اعتصمنا بِهِم جميعاً، نحنُ نعتصمُ بِهِم جميعاً، الاعتصامُ المطلوبُ منَّا أن نعتصمَ بإمامِ زماننا، وهذا هو الَّذي أشرتُ إليه قبلَ قليل من أنَّ نظامَ المعاريض جزءٌ منهُ يكونُ مُمتدَّاً على سائرِ زمانِ الأئمَّة وجزءٌ منهُ يكونُ مُختصَّاً بزمانِ كُلِّ إمامٍ من الأئمَّة..
هذا التفاعلُ تُبيِّنهُ لنا هذه الروايةُ الشريفة:
في الكافي للكليني المتوفَّى سَنة (٣٢٨) للهجرة، طبعةُ دار الأسوة، الجزء الأوَّل، طهران - إيران/ الصفحة التاسعة والتسعين بعدَ المئة: "بابُ أنَّ الأرضَ لَا تَخلُو من حُجة"، الحديثُ الثاني: **بسنده** - بسند الكليني - **عَن إسحاقَ بن عمَّار، عَن إمَامنا الصَّادق صَلواتُ اللّه وَسَلامهُ عَليه: إنَّ الأرْضَ لَا تَخْلُو إلَّا وَفيهَا إمَام** - لماذا يا ابن رَسُول اللّه؟ - **كَيمَا إنْ زَادَ المُؤْمنونَ شَيْئَاً رَدَّهُم، وإنْ نَقَصُوا شَيئاً أتَمَّهُ لَهُم** - هذا الكلامُ يجري في الجانب التشريعي، في الجانب العقائدي، يجري في شؤون الحياة، ويجري في كُلِّ ما يرتبطُ بالعلاقة فيما بيننا وبينهُ صلواتُ اللّه عليه، وقد يكونُ لُطفُ الإمامِ هذا جليّاً واضحاً بمسمعٍ منَّا، بمرأىً منَّا، وقد يكونُ خفيّاً، وخفاؤهُ يكونُ على درجات، في بعض الأحيانِ نستشعرهُ نستشعرُ اللُّطف، وفي أحيانٍ أخرى لا نستشعرُ اللُّطف وإنَّما نستشعرُ النَّتائج، حينَ أقول: نستشعرُ اللُّطف يُهيمنُ علينا لُطفهُ، نَتذوَّقهُ بِعُقولنا وقُلوبنا ومَشاعرنا وضَمائرنا، وحينما أقولُ نستشعرُ النَّتائج؛ ما نجدهُ من نتائجِ أعمالنا، من نتائج

ما نتحرّكُ فيه في خدمة إمامِ زماننا على سبيل المثال، أو في أيِّ أمرٍ آخر من أمورِ هذهِ الحياة، ما نتلمَّسهُ من النَّتائج الَّتي نقطعُ فيما بيننا وبينَ أنفسِنا من أنَّنا لن نستطيعَ الوصُولَ إلى هذه النَّتائج من دونه ومن دونِ تدخُّله..

في الكافي الشريف، الحديثُ الرَّضويُّ الطويل في بيانِ شؤون الإمامة وخصائص الإمام المعصوم، الحديثُ يبدأُ في الصفحة الثانية والعشرين بعدَ المئتين، الحديثُ الأوّل في الباب الَّذي عنوانهُ: "بابٌ نادرٌ جامعٌ في فضلِ الإمامِ وصفاته"، الصفحة الرابعة والعشرين بعدَ المئتين هذه العبائرَ أقتطفها من الحديث الشريف، إمامُنا الرضا يقول: **إنَّ الإمَامَةَ زِمَامُ الدِّين ونظَامُ الْمُسْلمين وَصَلاحُ الدُّنيَا وَعزُّ الْمُؤْمنين، إنَّ الإمَامَةَ أسُّ الإسْلاَم النَّامي وفَرْعُهُ السَّامي، بِالإمَامِ** - الكلامُ المتقدِّم يرتبطُ بالأئمَّة جميعاً (**بالإمَامِ**)؛ صارَ الكلامُ مُرتبطاً بإمامِ كلِّ زمانٍ بخُصوص شيعته - **بِالإمَامِ تَمَامُ الصَّلاة وَالزَّكَاة وَالصِّيَام وَالْحجِّ وَالْجِهَاد وَتَوفِير الْفَيْء وَالصَّدَقَات، وَإمْضَاء الْحُدُود والأحْكَام وَمَنْعُ الثُّغُور وَالأطْرَاف** - مثلما يتدخَّلُ الإمامُ تدخُّلاً مُباشراً في إمضاءِ الحدودِ والأحكام ومنع الثُّغورِ والأطراف يتدخَّلُ تدخُّلاً مُباشراً بنحوٍ جليّ وبنحوٍ خفي بإتمامِ صَلاتنا فَصلاتُنا ناقصةٌ، وبإتمامِ زكاتنا فَزكاتُنا ناقصةٌ، وبإتمامِ صيامنا فصيامُنا ناقصٌ وهكذا..

إلى آخرِ ما جاءَ في الحديثِ الشريف يرتبطُ بإمامِ كُلِّ شيعة بإمامِ كُلِّ زمانٍ، إنَّها المساحةُ التفاعليّةُ فيما بينَ الشيعةِ وإمامِ زمانِهم..

في (تُحف العُقُول) لابنِ شُعبة، طبعةُ مؤسَّسة الأعلمي، بيروت، لبنان، الصفحة الحادية والعشرين بعدَ المئة، من وصيّة أمير المؤمنين صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه لكُمَيل بن زياد: **يا كُمَيل، لَيسَ الشَّأنُ أن تُصَلِّيَ وتَصُومَ وتَتَصَدَّق** - ما هُوَ هذا المطلوبُ الأعظمُ منك - **الشَّأنُ أن تَكُونَ الصَّلاةُ بِقَلبٍ نَقِيّ، وعَمَل عندَ اللّه مَرْضِيّ، وخُشُوعٍ سَوِيّ، وانْظُر فيما تُصَلِّي وعَلى مَا تُصَلِّي، إنْ لَم يَكُن من وَجْهِه وحلِّه فَلا قَبُول** - من هُنا فإنَّ النَّاصب صلَّى أو زنا، صلَّى أو سرق، الأمرُ هُوَ هُوَ بالنِّسبة إليه، الصَّلاةُ العامَّةُ ما هي بصلاة، الصَّلاةُ الخاصَّةُ الَّتي ترتبطُ بإمامِ الشيعة في كُلِّ زمانٍ من أزمنتهم، الارتباطُ المتَّصلُ بالإمامِ في كُلِّ لحظةٍ من اللحظات قطعاً مع قُصورنا، قطعاً مع تقصيرنا، قطعاً مع جهلنا، قطعاً مع جهالتنا، ولكن بحدود ما نتمكَّن.

-**يَا كُمَيل، اللِّسَانُ يَنْزَحُ الْقَلْب** - يُخرِجُ ما في القَلب - **والْقَلْبُ يَقُومُ بالغذَاء، فَانْظُر فيما تُغَذِّي قَلْبَكَ وجِسْمَك، فَإن لَم يَكُن ذلكَ حَلالاً لَم يَقبَل اللّهُ تَسبِيحَكَ ولا شُكْرَك** - ولن يكونَ ذلكَ حلالاً إلَّا بسببٍ من الإمام، هُم أولياءُ النِّعَم، الحديثُ هُنا عن الغذاء المعنوي وعن الغذاء المادّي، لولا الخُبزُ لا صُمنا ولا صلّينا..

في الجزء الثامن من الكافي طبعةُ دار التعارف للمطبوعات/ بيروت - لبنان/ الصفحة ١٤٣/ الحديثُ ١٨٠: **بِسند الكُليني، عَن إمَامنا الصَّادقِ صَلواتُ اللّه وَسلامهُ عليه: إنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُول** - إمامُنا الصَّادقُ يُحدِّثنا عن اللّه - **يَقُول: إنِّي لَسْتُ كُلَّ كَلَام الحَكِيمِ أتَقَبَّل، إنَّمَا أتَقَبَّلُ هَوَاهُ وهَمَّهُ، فَإنْ كَانَ هَوَاهُ وَهَمَّهُ في رِضَايَ جَعَلتُ هَمَّهُ تَقْدِيساً وتَسْبِيحاً** - صاحبُ الحكْمَة سُبحانهُ وتعالى يدقِّقُ في حكمته، وحكمتهُ تتجلَّى في نيّته، في الأمر الَّذي يهتمُّ لهُ، فَليس الأمرُ في ركوعٍ أو سجود، وليسَ الأمرُ في انقطاعٍ عن الطعامِ والشراب، وليسَ الأمرُ أن نطُوفَ حولَ أحجارٍ في مكَّة، القضيةُ أعمقُ من هذا، هذه طقوسٌ علينا أن نأتي بها لكنَّ القضيةَ أعمقُ وأعمق، هذا هو منطقُ العترةِ وهذا هو دينُ الحقائق، كُلُّ هذهِ المضامين تُخبرنا أنَّ كُلَّ شيعةٍ في زمانِهم عليهِم أن يتفاعلوا معَ إمامِ زمانهم، عليهِم أن يتواصَلُوا معَه.

خُلاصةُ الكلامِ تتركَّزُ في (الخُطبةِ الغديريَّة)، سأقفُ عندَ هاتينِ الجُملتين:

الجملةُ الأولى ؛ في (إقبال الأعمال)، للسيد ابن طاووس، المتوفّى سنة (٦٦٤) للهجرة، طبعةُ مؤسّسة الأعلمي/ بيروت - لبنان/ الطبعةُ الأولى/ ١٩٩٦ ميلادي/ صفحة (٧٦٧)، ممَّا جاءَ في كلامِ رسُول اللّه في الخُطبة الغديريَّة في المواثيق المُحَمَّديَّة العَلَويَّة الَّتي أُخذت علينا في بيعة الغدير: **مَعَاشِرَ النَّاس، تَدَبَّرُوا الْقُرآنَ وَافْهَمُوا آيَاته وَمُحْكَمَاته ولا تَتَّبِعُوا مُتَشَابِهَه فواللَّه لا يُوَضِّحُ تَفْسِيرَهُ إلَّا الَّذي أنَا آخذٌ بِيَدِه ورَافِعُهَا بِيَدِي، ومُعَلِّمُكُم؛ أنَّ مَن كُنتُ مَوْلاهُ فَهُوَ مَوْلاهُ وهُوَ عَلِيّ** - النَّبي فَسّر القُرآنَ قطعاً بما يُناسبُ مرحلة التَّنزيل، جزءٌ من التفسير يُناسبُ مرحلة التَّأويل وصلَ إلينا عبرَ الأئمَّة.

في سورة الجمعة، الآية ٢ بعدَ البسملة: ﴿**هُوَ الَّذي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاته وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**﴾، كانَ يُعلِّمُهُم، كانَ يُبيِّنُ لَهُم تفسيرَ القُرآنِ بحسبِ زمانهم بحسبِ مرحلة التَّنزيل الَّتي كانَ فيها رسُولُ اللّه صلَّى اللّهُ عليه وآله.

في سورة النحل، الآية ٤٤ بعد البسملة: ﴿**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ** - الآيةُ تتحدَّثُ عن أنَّ النَّبيّ كانَ يُفسِّرُ الآياتِ بعدَ نُزولها - **وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾.

وفي السورة نفسها، الآية ٦٤ بعد البسملة: ﴿**وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾.

في سورة النساء، الآية ٨٢ بعدَ البسملة: ﴿**أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ** - إنَّما يتدبَّرونَ القُرآنَ بعدما فَسّرَ لَهُم رسُولُ اللّه - **وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً ۞ وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ** - الحديثُ عن أمرٍ من الأمنِ أو الخوف هذا مصداقٌ من المصاديق وإلَّا فإنَّهم كانوا يختلفونَ في الدِّين وفي العقيدة وفي القُرآن، فحينما يكونُ الاختلاف لابُدَّ من الرّجوعِ إلى جهةٍ قادرة على رفع الاختلاف - **وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ**﴾، هذا يعني في كُلِّ عصرٍ لابُدَّ من الرجوعِ إلى أولي الأمر إذا ما حدثَ النِّزاعُ والخلاف، هذا يعني أنَّ البيانَ سيكونُ بياناً تدريجياً.

إذا جمعنا هذه الآيات الَّتي في سورة النساء معَ الآيات الَّتي في سورة النَّحل معَ ما جاءَ في سورة الجمعة الحقيقةُ واضحةٌ جدَّاً تتجلَّى في الخُطبة الغديريَّة: (**فَواللّه لا يُوضِّحُ تَفْسيرَهُ**)، عليٌ هُوَ الَّذي يُوضِّح تفسيرَ القُرآن، وتفسيرُ القُرآنِ إمَّا أن يكُون القُرآنُ دالّاً على نفسه بنفسه، وإمَّا أن يكونَ القُرآنُ مُفسَّراً من قبلَ رسُول اللّه، وإمَّا أن يَكُون القُرآنُ مُفسَّراً بحسبِ كُلِّ زمانٍ وكُلِّ مكان، لأنَّ القُرآنَ يجري مجرى الشَّمسِ والقَمر، يجري مَجرى اللَّيلِ والنَّهار، مضامينُ القُرآن ليست واقفةً عندَ جهةٍ مُعيّنة، هذا منطقُ التَّفسير عندَ العترة الطاهرة..

الجُملةُ الأخرى؛ النّبيّ صلَّى اللّهُ عليه وآله يقولُ لنا: **إنِّي قَد بَيّنتُ لَكُم وفَهَّمْتُكُم** - ماذا بَيّنَ لَنا وماذا فَهَّمنا رَسُولُ اللّه؟ النَّبيّ لا يتحدَّثُ عن هذه اللَّحظة، النَّبيّ يَتحدَّثُ عن البِعثة مُنذُ أوَّل لَحظة فيها وإلى هذه اللَّحظة الَّتي يتكلَّمُ فيها - **هَذا عَلِيٌّ يُفَهِّمُكُم بَعْدي** - "يُفَهِّمُكُم بَعدي"؛ إنَّهُ فَهمٌ جديدٌ، هذا هُوَ البيانُ المتحرك، هذا هُوَ التوضيحُ التدريجي، هذا هو التَّأويلُ الَّذي يأتي شيئاً فشيئاً باتِّجاه يوم الخَلاص، ومن بعد عليٍ من الَّذي يُفَهِّمنا من الَّذي جاء بعدَ عليٍ؟ الحَسَنُ المجتبى هُوَ الَّذي يُفَهِّمنا، ومن بعدهِ الحُسينُ يُفَهِّمنا، وفي وقتنا هذا الحُجَّةُ بنُ الحَسَن هو الَّذي يُفَهِّمنا إن كانَ ذلكَ بأسبابٍ جليّةٍ أو بأسبابٍ خفية.